ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الثالث، السنة الثانية، شعبان ١٤٣٩هـ/ آيار ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن

مركز إحياء التراث التابع
لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الثالث، السنة الثانية
شعبان ١٤٣٩هـ/ آيار ٢٠١٨م

مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

مكتبة ودار المخطوطات العتبة العباسية المقدّسة. مركز إحياء التراث.
الخِزانة : مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.ــ كربلاء، العراق: مكتبة ودار المخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، مركز إحياء التراث، 1439 هـ. = 2017-
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنوية.-السنة الثانية ، العدد الثالث (آيار 2018)-
ردمد : 2521-4586
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغات العربية ومستخلصات باللغة الإنجليزية.
1. المخطوطات العربية--دوريات. 2. المخطوطات التركية--العراق--دوريات. 3. العلماء المسلمون (شيعة)--المؤلفات--دوريات. الف. العنوان.
Z115.1 .M335 2018 NO. 3
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الترقيم الدولي
ردمد: ٢٥٢١-٤٥٨٦

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م
كربلاء المقدّسة – جمهورية العراق

يمكن الاتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٦٠٢٢٠٧٠١٣ / ٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣

الموقع الإلكتروني: Kh.hrc.iq

الإيميل: Kh@hrc.iq

صندوق بريد: كربلاء المقدّسة (٢٣٣)

الباب الأول
دراسات تراثية

هل كتب نصير الدين الطوسيّ (ذيل تاريخ جهانگشاي)؟

Did Nasir al-Din al-Tusi write the tail of The History of Jahangushay?

يوسف الهادي

محقّق وباحث تراثي

العراق

Yusuf Al-Hadi

Heritage reviewer and researcher

Iraq

الملخّص

الكثير من المؤلّفات في تراثنا الإسلاميّ وصلت إلينا غفلاً عن أسماء مؤلّفيها، وقد تقف وراء ذلك أسباب عديدة، منها ما هو مقصود ومنها من دون قصد، ومن هنا ظهرت في تراثنا الفكريّ والثقافيّ كتبٌ ومؤلّفات منسوبة خطأً إلى غير أصحابها؛ لذا تبنّى عدد من الباحثين مَهمة البحث في مؤلّفات كهذه ودراستها من حيث موضوعها ومنهجها وأسلوبها مع الأخذ بنظر الاعتبار زمان تأليفها ومكانه محاولين الخروج بجملة من القرائن التي تصحّح نسبتها إلى هذا المؤلِّف أو ذاك، أو على الأقل إثبات عدم صحة نسبتها الشائعة ذإن لم يتمّ الاهتداء في ذات الوقت إلى مؤلّفها الحقيقيّ، وفي كل الأحوال القصد من وراء ذلك خدمة التراث وأهله، ووضع الأمور في نصابها.

وما اشتملت عليه صفحات هذه الدراسة هي محاولة من هذا النوع، تبحث في الملحق الموجود في آخر كتاب تاريخ جهانگشاي للمؤرّخ والأديب والسياسيّ علاء الدين عطا ملك الجوينيّ (ت٦٨١هـ)، وهذا الملحق الذي يمكن أن نعدَّه (ذيلاً) للكتاب يتناول بشكل مختصر أحداث دخول المغول مدينة بغداد، وإنّ أهميته ترجع إلى كونه جزءاً ممّا دأبنا على تسميته في كتاباتنا باسم (الرواية البغدادية) عن الغزو المغوليّ للعراق، ونُسِبَ هذا النصّ إلى العالم والفلكيّ والرياضيّ والفيلسوف نصير الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ).

وسيجد القارئ الكريم في هذه الدراسة مجموعة أدلّة علمية اهتدينا إليها واقتنعنا بها، وساقتنا إلى نتيجة مفادها: إنّ هذا (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشاي ليس لنصير الدين الطُّوسِيّ، بل لمؤلّف آخر لم نوفّق للاهتداء إليه حالياً.

Abstract

Many of the works in our Islamic heritage have reached us without names of their authors. There are many reasons for this, some of them are intentional and others are not. Hence in our intellectual and cultural heritage, books and works are attributed wrongly to others; therefore, a number of researchers adopted the task of researching and studying such works in terms of their subject matter, methodology and style, taking into consideration the time and place of their writings and attempting to come up with a number of evidences that corrects their attribution to this scholar or that, or at least to prove that its famous relationship is incorrect. Even if they didn't know the true author at that time. In any case, the purpose behind this is to serve the heritage and its people, and to put things right. What is included in this study is an attempt. Looking at the index at the end of the book Tarikh-i Jahangushay of the historian, writer and politician Ala al-Din Ata-Malik Juvayni died in (681 AH).

This index can be considered as a (sequel) for the book. It deals briefly with the events of the Mongol invasion of Baghdad and its importance is due to being part of what we have called it in our writings named "Al-Baghdadi novel" about the Mongol invasion of Iraq, which is attributed to the scholar, astronomer, mathematician and philosopher Nasir al-Din al-Tusi died in (672 AH). The reader will find in this study scientific evidences led us to this conclusion: the (sequel) attached to Tarikh-i Jahangushay is not for Nasir al-Din al-Tusi but to another author whom we haven't identified him yet.

المقدّمة

كلامنا هنا يتناول البحث في الملحق الموجود في آخر كتاب تاريخ جهانگشاي للمؤرّخ والأديب والسياسيّ علاء الدين عطا ملك الجوينيّ (ت ٦٨١هـ)، هذا الملحق الذي يمكن أن نعدَّه (ذيلاً) للكتاب، ونُسِبَ - كما هو مكتوب في عنوانه - إلى العالم والفلكيّ والرياضيّ والفيلسوف نصير الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ).

ومن وجهة نظرنا فإنّ أهمية هذا النصّ ترجع إلى كونه جزءاً ممّا دأَبنا على تسميته في كتاباتنا باسم (الرواية البغدادية) عن الغزو المغوليّ للعراق[١]، وهي الرواية الصحيحة التي كتبها المؤرّخون البغاددة الذين كانوا فيها عند دخول المغول إليها، وهي تقف على النقيض من الرواية الشامية/ المصرية التي اختُلِقت فيما بعد عن هذا الغزو.

هولاكو ونصير الدين

حين تقدَّم هولاكو لتنفيذ المَهمة التي كلَّفه بها شقيقه منكو قاآن، وتحرّك بموجبها بجيشه للاستيلاء على قلاع الإسماعيلية في إيران، ومن ثَمّ التوجّه إلى بغداد وبلاد الشام ومصر بغية إلحاقها بالإمبراطورية المغولية، أرسل في البَدء في أوائل سنة (٦٥١هـ) أحدَ قادته العسكريّين، فشنَّ هجماته على قهستان التي كانت بأيدي الإسماعيلية[٢]. وفي ٢٤ شعبان (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، ترك هولاكو معسكره متجهاً نحو الغرب؛ للانضمام إلى طليعة قواته في حربها على قلاع الإسماعيلية[٣].

كان عالِم الرياضيات والفلك والفيلسوف المعروف نصير الدين الطوسيّ يقيم هو

(١) عرَضنا موجزاً للرواية البغدادية في كتابنا: إعادة كتابة التاريخ: ص ١٥ و١٦٥ من الطبعة الثانية.

(٢) جامع التواريخ: رشيد الدين: ٦٩٠/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٤٣/(١)٢ (الترجمة العربية)؛ تقويم التواريخ: حاجي خليفة: الورقة ٥٧أ. وقهستان: هي المنطقة الجبلية التي بين هراة ونيسابور، (معجم البلدان: ياقوت الحمويّ: ٢٠٥/٤).

(٣) تاريخ جهانكشاي: الجوينيّ: ٦٩٢/٣؛ السلوك لمعرفة دول الملوك: المقريزيّ: ٤٧٧/١.

وجمعٌ من الأطباء «مكرَهين لدى ملك الإسماعيلية»[١]. واستناداً إلى نصير الدين نفسه فإنه كان مكرَهاً على الإقامة في قهستان[٢]، بل إنّ وصّاف الحضرة يقول: إنّ نصير الدين «كان لمدة طويلة معتَقَلاً في بلاد قهستان»[٣]؛ ويقول مؤرّخ آخر: إنّ حاكم قهستان ناصر الدين جَلَبَ نصير الدين «بالقَهْر والإكراه إلى قلعة أَلَمُوت، ولم يخرج منها إلى حين النزول والوصول»[٤]، وقيل: إنّه «كان وزير أبيه الذي جلبه إلى القلعة (أَلَمُوت) بالقهر والغلبة، وأبقاه لديه محتجزاً ليتعلَّم منه العلمَ والحكمة»[٥]، وقيل أيضاً: إنّه «جَلَبَه بالقهر والغلَبة في البَدء، لكنّه أصبح أكثر لطفاً معه في النهاية، واتخذه وزيراً»[٦]. ولدينا رواية تصرّح بأنه اختُطف وجيء به إلى قلعة أَلَمُوت، إذ يقول المنشئ الكرمانيّ: «صدرت الأوامر من بلاط إمام الإسماعيليّين إلى الفدائيين بحمله إلى دار الإلحاد[٧]، فشُنَّ عليه هجوم مباغت في شارع البساتين بنيسابور، وهُدِّدَ بالقتل والعذاب إنْ هو لم يذهب معهم إلى [قلعة] أَلَمُوت»[٨].

فيما يأتي نورد تلخيصاً مفيداً لسيرة نصير الدين كتبه الأستاذ فرهاد دفتري:

«وُلِد الخواجه نصير الدين الطوسيّ (٥٩٧ هـ) في طوس في خراسان لأُسرة شيعيّة اثني عشرية، ودرس في نيسابور خلال المدّة ٦١٠ - ٦١٨هـ، ثم بعد ذلك في العراق[٩].

(١) كما يقول رشيد الدين في جامع التواريخ: ٦٩٢/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٤٩/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٢) كما يُستَفاد من مقدّمة كتابه(أخلاق ناصري): الورقة ٢ب.

(٣) تجزية الأمصار: الورقة ٣٩؛ مجمع الأنساب: الشبانكارئيّ: ٢٦٢.

(٤) زبدة التواريخ: جمال الدين الكاشانيّ: ٢٢٢. ويعني وصول جيش هولاكو ونزول مَن في القلعة منها.

(٥) كما يقول أولياء الله آملي في (تاريخ رويان)، الورقة ٧٨.

(٦) كما يقول ظهير الدين المرعشيّ في (تاريخ طبرستان): الورقة٢٦أ.

(٧) دار الإلحاد: تعبير شائع آنذاك ويُقصّد به القلاع والأماكن التي كان يسكن فيها أتباع المذهب الإسماعيليّ.

(٨) درّة الأخبار: ناصر الدين المنشئ: ١٠٧.

(٩) الذي نعلمه أنّ نصير الدين الطوسيّ لم يدخل العراق إلاّ في سنة (٦٥٦هـ) مع هولاكو، ثم زاره في سنتي (٦٦٢ و ٦٧٢هـ) ممّا سنذكره لاحقاً.

وحوالي سنة (٦٢٤هـ)، دخل في خدمة ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور (ت ٦٥٥هـ)، محتشم أو قائد الإسماعيليّين النزاريّين في قوهستان. وخلال إقامته الطويلة في قائين وبين جماعات نزاريّة أخرى في قوهستان، طَوَّر الطوسيّ علاقات صداقةٍ وثيقةٍ مع راعيه العالِم الذي أهدى إليه كتابيه الضخمين في الأخلاق: (أخلاق ناصري) الذي انتهى منه سنة (٦٣٣هـ)، و(أخلاق محتشمي). وذهب فيما بعد إلى أَلَمُوت[١]؛ إذ حظيَ بسخاء إمامين نزاريّين حتى سقوط الدولة النزاريّة سنة (٦٥٤هـ) على أيدي المغول[٢]، وأصبح عقب ذلك مستشاراً موثوقاً للفاتح المغوليّ هولاكو، الذي بنى له مرصداً ضخماً في مراغة بأذربيجان. وخلال إقامته مع النزاريّين تحوَّل الطوسيّ إلى الإسماعيلية، وشرح هذا التحوّل في سيرته الذاتية (سير وسلوك)، وقدَّم مساهماتٍ مُهمة إلى الفكر النزاريّ في عصره؛ لكنه عاد وارتدَّ إلى الاثني عشرية عقب انضمامه إلى حاشية هولاكو. ثم إنَّ تصنيف العمل الإسماعيليّ الضخم من حقبة أَلَمُوت المتأخرة روضة التسليم، المنجز سنة (٦٤٠هـ) كان قد تمَّ تحت إشراف الطوسيّ المباشر؛ كما قدَّمَ مساهماتٍ مُهمة إلى الفكر الشيعيّ الاثني عشري، وتوفي في بغداد»[٣].

كان ركن الدين خورشاه (حكم في السنوات ٦١٨ - ٦٥٤هـ) هو آخر ملك إسماعيليّ عاش نصير الدين في كَنَفه، وكان يعيش في إحدى قلاع الإسماعيلية الحصينة المعروفة باسم قلعة ميمون دِز[٤]. ومع استسلام خورشاه هذا إلى هولاكو ونزوله عند شروطه سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، انتهت إقامة نصير الدين الطوسيّ في قلعة ميمون دز، وبادر هولاكو إلى ضمِّه إلى حاشيته للاستفادة منه بصفته عالماً في الفلك، إذ يقول مؤلّف كتاب (الحوادث): «كان في خدمة علاء الدين محمّد بن الحسن الإسماعيليّ -هو والد خورشاه- وحضرَ بين

(١) استناداً إلى عناية الله مجيدي (ميمون دز أَلَمُوت: ٢١٥) فقد وصل نصير الدين الطوسيّ إلى قلعة أَلَمُوت بعد سنة ٦٣٣هـ.

(٢) هذا هو رأي الأستاذ دفتري. نعم عاش نصير الدين في أَلَمُوت، لكن استناداً إلى الجوينيّ (تاريخ جهانگشاي: ٧٧٦/٣)، فقد كان في قلعة ميمون دز مع خورشاه عند استسلام هذا الأخير لهولاكو، وهذا يعني أنه انتقل -في زمنٍ ما- مع خورشاه من أَلَمُوت إلى ميمون دز. وقلعة ميمون دز قريبة من قلعة أَلَمُوت (ينظر: شرح مشكلات تاريخ جهانگشاي جويني: خاتمي: ٣٠٤).

(٣) معجم التاريخ الإسماعيلي: دفتري: ١٨٩- ١٩٠.

(٤) تاريخ جهانگشاي: ٧٧٦/٣.

يدي السلطان (هولاكو)، فحظيَ عنده وأنعم عليه، فعملَ الرَّصد بمراغة سنة ٦٥٧هـ»[١].

بعد أن استسلم ملك الإسماعيلية ركن الدين خورشاه إلى هولاكو سنة (٦٥٤هـ) وسلَّم إليه ما استطاع تسليمه من قلاع الإسماعيلية وما فيها من حشودٍ من أتباع هذا المذهب، بادر المغول إلى قتله «وقَتَلوا أقاربَه وأفرادَ أسرته من النساء والرجال حتى الأطفال الذين في المهود فيما بين أبهر وقزوين، فلم يبقَ منهم أثر»[٢].

والحقيقة هي أنّ اهتمام المغول بعلم الفلك يُقصد به التنجيم الذي يعتقدون أنّه قادر على كشف المستقبل، ذلك أنّه «منذ عهد البابليين، ومن ثمَّ عهد الإغريق، اقترنَ الأمل بالكشف عن المستقبل باهتمامٍ علميٍّ بالكون وبالحركات الدقيقة للأجرام السماويّة، أي بعبارة أخرى بعلم الفلك. وكلاهما وُجِدَ جنباً إلى جنب في مزيجٍ يكاد لا ينفصل؛ فالفلكيون في العصور الوسطى- شرقيين كانوا أم غربيين - كانوا منجِّمين في معظم الأحيان»[٣]. وهذا ما سنلاحظه لدى اقتراب هولاكو من بغداد، وسؤاله المنجّمين ونصيرَ الدين الطوسيّ عن مستقبل حربه مع الخليفة، وهذا هو ما دأب عليه الحكّام المغول اللّاحقون؛ إذ نجد السلطان المغوليّ أحمد تكودار حين زحف لقتال الأمير أرغون سنة (٦٨٣هـ)، استشار اثنين من الفلكيين (المنجّمين)، وهما صدر الدين وأصيل الدين نجلا نصير الدين الطوسيّ - وكانا مقرَّبين منه كما هو واضح - فقالا إنه بحسب أحكام النجوم، فليس من المصلحة أنْ يزحف بجيشه للقتال[٤].

إنّ تعامل هولاكو مع نصير الدين هذا التعامل المتساهل ووثوقه به بهذه السرعة

(١) كتاب الحوادث: مجهول: ٣٣٠. يذكر ابن الفُوَطِيّ أنّ هولاكو «أشار بعمل الرصد بمراغة في جمادى الآخرة سنة ٦٥٧هـ» (تلخيص مجمع الآداب: ٤٨٩/٥).

(٢) جامع التواريخ: ٦٩٧/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٥٨/(١)٢ (الترجمة العربية)؛ زبدة التواريخ: ٢٣٢؛ ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان: قطب الدين الشيرازيّ: ٨٩.

(٣) الفاطميون وتقاليدهم في التعليم: هالم: ١٣٤، ويقول أيضاً في الصفحة نفسها: «يعود علم التنجيم في خصائصه الرئيسة إلى البابليّين الذين ظنُّوا أنّ الكواكب السبعة ـ التي عَدُّوا من ضمنها الشمسَ والقمرَ، ولكن ليس الأرض ـ كانت آلهة كان بإمكان البشرية استكشاف نيَّاتها من خلال مراقبةٍ دقيقةٍ لحركاتها،وتبنَّى اليونانيون والرومان هذا الاعتقاد وأورثوه كِلا العالَمينِ الإسلاميّ والغربيّ».

(٤) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ١٠٠٧/٢ .

إنما كان بوصيّةٍ من شقيقه منكو قاآن حين كلَّفه بحملته على قلاع الإسماعيلية؛ ذلك أنّه كان ينوي الاستفادة من علومه الفلكية «وكان صيت فضائل الخواجه نصير الدين ذائعاً في كلّ مكان كالريح التي تجوب الآفاق. فلما ودَّع منكو قاآن شقيقه هولاكو قال له إنَّ عليه إذا استولى على قلاع الملاحدة أنْ يرسل إليه الخواجه نصير الدين، لكن لمّا كان منكو قاآن منشغلاً آنذاك بفتح ممالك منزي[١] بعيداً عن عاصمته، أمر هولاكو أن يبني مرصداً في ذلك المكان (إيران)؛ ولمّا كان قد وقفَ على حُسْن سيرة نصير الدين وصدق سريرته، كان يريد منه أن يظلَّ ملازماً لهولاكو»[٢].

كان مستوى منكو قاآن الثقافيّ المتقدّم يؤهّله لأنْ يتقدّم إلى شقيقه هولاكو بطلب علميٍّ كهذا، فقد كان «مهتماً جداً بالرياضيات والفلك»[٣]؛ وكان على تماسٍّ ببعض العلماء المسلمين، وقد تلقَّى شطراً من العلم والأدب على افتخار الدين محمّد أحد أعضاء الأُسرة الافتخاريّة القزوينيّة، وهي أسرة مسلمة ينتهي نسبها إلى الخليفة أبي بكر؛ لذا كان جدُّهم افتخار الدين محمّد يحمل لقب «البَكريّ، ومن أحفاده كان افتخار الدين محمّد بن أبي نصر أعظم أكابر مدينة قزوين...، وهو الذي تلقّى العلمَ على يديه منكو قاآن وأشقاؤه وأعمامُه وذووه، وحين ارتقى منكو العرش نال حظوةً لديه، وأصبح حاكماً على قزوين سنة ٦٥١هـ وظلّ حاكماً مدة ٢٧ سنة»[٤]. وعليه فليس مستبعداً أن يكون هؤلاء الافتخاريون وبعض العلماء المسلمون الذين كانوا على اتصالٍ بالبلاط المغوليّ هم الذين أشاروا إلى ما كان يتمتع به نصير الدين من تفوّقٍ في المجال العلميّ خصوصاً الفلك والنجوم؛ إذ ذُكر أنّ منكو قاآن «رغب في إقامة مرصدٍ كبير في بكين أو في عاصمته

(١) منزي (Manzi): تسمية كان يطلقها سكّان شمالي الصين على سكّان الجنوب تحقيراً لهم (تعاليق الدكتورة وانغ يي دان على جامع التواريخ (تاريخ چين)): ١٦١.

(٢) كما يقول رشيد الدين: جامع التواريخ: ٧١٨/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/٣٠٣ ـ ٣٠٤ (الترجمة العربية).

(٣) المراصد الفلكية في العالم الإسلاميّ: صابيلي: ٢٧٩.

(٤) تاريخ كزيده: حمد الله المستوفيّ: ٧٩٨ ـ ٧٩٩؛ عن بقية مشاهير هذه الأسرة والوظائف المُهمة التي شغلوها لدى الحكام المغول، ينظر: تاريخ كزيده: ٧٩٨ ـ ٨٠٠؛ كتاب الحوادث: ٣٨٤ و ٤٣٥؛ تلخيص مجمع الآداب: ابن الفُوَطِيّ: ٣٥/٢؛ تجارب السلف: هندوشاه النخجوانيّ: ١٦؛ هفت إقليم: أمين الرازيّ: الورقة ٣٥٦ب.

قراقورم»[١].

وكان ممّن خرج مع نصير الدين من قلعة أَلَمُوت الإسماعيلية جمعٌ من الأطباء كانوا فيها، يقول رشيد الدين: «لمّا تحقَّقَ هولاكو من سلامة قلب الخواجه نصير الدين الطوسيّ وأبناء رئيس الدولة وموفق الدولة الذين كانوا أطباء نطاسيين ذائعي الصيت أصلهم من همذان، شملهم برعايته ومنحَهم بغالاً لحمل جميع أفراد أُسَرِهم وأعيانهم وأقاربهم، مع كافة أفراد حاشيتهم وخَدَمِهم وأتباعِهم وأشياعِهم، وأن يكونوا مرافقين له. وهم إلى يومنا مع أبنائهم ملازمون دائماً لبلاط هولاكو ومقرَّبون منه ومن المشاهير من سلالته»[٢].

وهكذا وبعد أن غادر نصير الدين قلعة ميمون دِز أصبح في جملة الكتَّاب والفلكيين المختصّين بهولاكو، حتى روى الذهبيّ أنّه «كان ذا حرمة وافرة، ومنزلة عالية عند هولاكو. وكان يطيعه فيما يشير به، والأموالُ في تصريفه»[٣]، وهو الذي أقنع هولاكو بإقامة مرصدٍ فلكيّ في مراغة، وبلغ لديه من الحظوة أنّه كان مطلق اليد في أن يضمّ إليه أيّ شخصٍ من المشتغلين بالفلك والنجوم أو ما يؤدي إليهما، ولدينا القصة المؤثِّرة لمحيي الدين المغربيّ، وكان في حاشية الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز الأيوبيّ[٤] الذي أبقاه هولاكو لديه بعد قتله أباه، ثم غضب بعد وصول الأنباء بهزيمة جيشه في حمص، فأمر بقتله وجميع مَن معه. وحين قيَّدهم المغول ليقتلوهم يقول المغربيّ: «لمّا عاينتُ ذلك بقيتُ أقولُ بصوتٍ عالٍ: إنني رجل منجّم وأعرف بحركات الكواكب ومعي كلام أقوله في خدمة السلطان ملك الأرض [هولاكو]. فأخذوني وأقعدوني وراءهم مع جملة أتباعهم، وشرعوا بقتل الجماعة، ولم يخلص منهم غير ولدَي الملك الناصر فاستأسروهما، ثم ركبوا وعادوا إلى البيوت التي للملك الناصر، ونهبوها وقتلوا باقي الجماعة التي تخلَّفت هناك،

(١) المراصد الفلكية في العالم الإسلاميّ: ٢٧٨.

(٢) جامع التواريخ: ٦٩٦/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/ ٢٥٧ (الترجمة العربية). و(سلالته) وردت في الأصل الفارسيّ (أوروغ) وتعني النسل والسلالة والأولاد والأعقاب (ينظر: قواعد ورسم الخط ومصطلحات تركي جغتايي: مجهول: الورقة ٢٥٠أ).

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبيّ: ١١٤/٥٠.

(٤) هو الملك يوسف (الناصر) بن محمّد (الملك العزيز) بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين بن أيوب، صاحب حلب وآخر الملوك الأيوبيين، وقد قُتل بعد معركة حمص التي هُزِمَ فيها المغول في ٢٥ محرم سنة (٦٥٩هـ) (ينظر: مفرج الكروب: ابن واصل: ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١).

ثم عرضوا الأمر على هولاكو، وأنا صرتُ في خدمة خواجا نصير الدين في الرصد بمراغة، وابنا الملك الناصر في خدمته»[١].

التوجُّه نحو بغداد:

وفي أثناء تناولنا مسير هولاكو بجيشه نحو بغداد، سنركِّز فقط على الوقائع ذات الصلة بنصير الدين الطوسيّ من ذلك المسير.

حين انتهى هولاكو من ارتكاب تلك المجزرة المروِّعة بحقّ الإسماعيليين، تقدَّم بجيشه نحو العراق في أوائل محرّم سنة (٦٥٥هـ) على طريق كرمانشاهان وحُلْوان، وكان معه - كما يقول رشيد الدين - من الكُتَّاب «قراتاي، وسيف الدين البيتكچي المدبِّر لشؤون المملكة، ومولانا الخواجه نصير الدين الطوسيّ، والصاحب السعيد علاء الدين عطا مَلِك الجوينيّ، مع كافة السلاطين والملوك وكتَّاب إيران»[٢]، وهذا أول نصّ يدلّ على ضمِّ هولاكو نصيرَ الدين إلى فريق الكتَّاب الذين كانوا برفقته.

كان الخليفة في بغداد حيث مقرّ الخلافة العباسية هو المستعصم بالله العباسيّ الضعيف البخيل الجشِع اللصّ[٣] المنهمك باللعب بالطيور والموسيقى والطرب إلى حدٍّ أنه عندما كان الجيش المغوليّ قد احتلَّ الجانب الغربيّ من بغداد (الكرخ) وكان يرشق بسهامه الجانبَ الشرقيّ حيث قصر الخليفة، وكان الجيش العباسيّ القليل العدد يواجه الجيش المغوليّ المتفوّق في العدَّة والعَدد خارج بغداد في معركة طاحنة خسر فيها أغلب أفراده، وتشتت الباقون خارج الميدان، كان هو يجلس باسترخاء في أحد أروقة القصر يشاهد

(١) تاريخ مختصر الدول: ابن العبريّ: ٤٨٩، تاريخ الزمان: ابن العبريّ: ٣١٨؛ جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٩١٦/٢، ٢(١)/ ٣١٧ (الترجمة العربية)، وفيه: (ولم ينجُ منهم سوى محيي الدين المغربيّ بحجة معرفته بعلم التنجيم)؛ وفي مفرج الكروب: ٢٨١/٦ «واستبقوا الملك العزيز محمّد ابن الملك الناصر؛ لأنه كان صغيراً، وبقي عندهم مدَّةً وأحسنوا إليه، ثم توفي بعد ذلك». وقد اشتغل هذا الرجل في مرصد مراغة، وكان له نشاط فيه (الذريعة: آغا بزرك: ٢٢٣/٢٣).

(٢) جامع التواريخ: ٨٩٣/٢ (ط روشن وموسوي)، ٢(١)/٢٥٨ (الترجمة العربية).

(٣) عن هذا الخليفة وضعفه ولصوصيته وطمعه وبخله وأشهر سرقاته مصادرته الوديعة التي أودعها لديه ملك الكَرَك الناصر داود الأيوبيّ من الجواهر واللآلئ، ينظر كتابنا: إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية): ٣٦ ـ ٤٧.

جارية «صغيرة من موَلَّدات العرب تُسَمَّى عَرَفَة»، وهي تؤدي إحدى رقصاتها، فـ «جاءها سهم من بعض الشبابيك، فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً»[١]. وكانت حاشيته ومستشاروه وكبار موظفيه من أبشع اللصوص[٢].

لم يكن يوجد جيش يدافع عن حِمى البلاد؛ فقد قلَّلَ الخليفة البخيل نفقات الجيش، فاضطُرّ كثيرٌ منهم إلى ترك الخدمة أو التحوّل إلى شحّاذين على أبواب الجوامع والأسواق؛ لاستجداء قوتهم وقوت عيالهم. نقرأ في حوادث سنة (٦٤٨هـ): «ثارت طائفة من الجند ببغداد، ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة، واستغاثوا لأجل قطع أرزاقهم...، وكان الخليفة قد أهمل حال الجند وتعثّروا وافتقروا، وقُطعت أخبازهم ونُظم الشعر في ذلك»[٣]. وقبل عامٍ من وصول المغول بغداد «كان الخليفةُ قد أهمل حال الجند ومَنَعَهم أرزاقهم، وأسقطَ أكثرَهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى سؤالِ الناسِ وبذْلِ وجوهِهم في الطلبِ في الأسواقِ والجوامعِ، ونَظَمَ الشعراءُ في ذلك الأشعارَ»[٤].

في اللحظات الأخيرة التي سبقت اجتياح المغول العراق أرسل الخليفة المستعصم اثنين من كبار العسكريين، هما سيف الدين قليج وأيبك الحلبيّ، لاستطلاع تحرّكات الجيش المغوليّ؛ وبينما كان هولاكو متوجِّهاً نحو الجانب الشرقيّ من بغداد، ألقى المغول القبض على هذين الاثنين، فأُخذا إلى هولاكو؛ الذي كان قد أقام معسكره في طاق كسرى المجاور لبغداد.

ولدى التحقيق معهما وافقا فوراً على التعاون معه بعد أن أمَّنهما على حياتهما،

(١) البداية والنهاية: ابن كثير: ٢٣٣/١٣؛ وينظر خبر هذه الواقعة أيضاً في كتاب الحوادث: ٣٥٤ ـ ٣٥٥؛ ولدى ابن شاكر في عيون التواريخ: ١٣٣/٢٠؛ والعينيّ في عقد الجمان: (١٧١، الجزء الخاص بحوادث السنوات ٦٤٨ ـ ٦٦٤هـ)، نقلاً عن ابن كثير.

(٢) عندما كان الجيش المغوليّ يطوّق بغداد خصّص الخليفةُ أموالًا لتشكيل قوةٍ من الرماة يقفون على أسوار بغداد للدفاع عنها، لكن رجال البلاط سرقوا أكثر تلك الأموال (ينظر: مختصر التأريخ: ابن الكازرونيّ: ٢٧٢).

(٣) تأريخ الإسلام: ٦٣/٤٧، ينظر أيضاً: ٣٢/٤٨، حوادث سنة ٦٥٥هـ.

(٤) كتاب الحوادث: ٣٥٠؛ عيون التواريخ: ابن شاكر: ١٢٩/٢٠. ينظر بهذا الشأن تفاصيل أوفى في كتابنا إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية): ٤٤ ـ ٤٧.

وأصبحا مرشدينِ للقوات المغولية يهدونهم إلى الطرق التي ينبغي لهم سلوكها[١]، وبادرا إلى كتابة رسائل إلى كبار شخصيات البلاط يرغِّبانهم في الانضمام إلى جيش هولاكو قائلين: «ارحموا أرواحَكم، واطلبوا الأمان؛ لأنّ لا طاقةَ لكم بهذه الجيوش الكثيفة»[٢]. وتوجد رواية تقول: إنّ أيبك الحلبيّ اتصل بالقائد المغوليّ بايجو نويان «وأقبل بين يدي العسكر (المغوليّ) يعرِّفهم الطرق ويهديهم»[٣].

وبإلقاء القبض على هذين الاثنين، وتعاونهما مع هولاكو، حقَّق أكبرَ اختراق استخباراتيّ، تمكَّن بواسطته من معرفة ما يبغيه من معلومات عن بغداد وجيشها وخططها.

كما أسلفنا آنفاً فإنَّ هولاكو كان قد ضمَّ نصير الدين الطوسيّ إلى المجموعة المقرَّبة منه، ويمكن القول إنّ ما قدَّمه القائدان العباسيّان الأسيران لدى هولاكو من معلوماتٍ قد سمعها نصير الدين أيضاً، ومن المعروف أنّ المغول يبالغون في التدقيق بجمع المعلومات. ومن المعلومات التي شاعت فيما بعد -وكان هذان القائدان يعلمانها حتماً- أنّ عدد أفراد الجيش العباسيّ لم يكن ليتجاوز العشرة آلاف فارس[٤]، بل إنّ مواطناً بغدادياً قال إنّه «دون سبعة آلاف فارس، وجُلُّهم ليس بنافع»[٥]. هذا بينما قدَّر أحد مواطني بغداد آنذاك جميع أفراد جيش هولاكو بمئتي ألف مقاتل[٦]، مع مَن انضمَّ إليهم من الحكّام المسلمين، وغيرهم ممّن جاؤوا بجنودهم ومعدَّاتهم لدعم الجيش الغزاة[٧].

مع كلّ هذه المعلومات عن ضعف الخليفة وجيشه، لم يكن هناك ما يدعو هولاكو

---

(١) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٤/٢، ٢٨٢/(١)٢ (العربية)؛ تأريخ مختصر الدول: ٤٧٢.

(٢) تأريخ مختصر الدول: ٤٧٢. وقد رَفَضَ أولئك القادة الاستجابة لطلبهما.

(٣) كتاب الحوادث: ٣٤٩.

(٤) البداية والنهاية: ٢٣٤/١٣.

(٥) التحفة في نظم أصول الأنساب: الحسنيّ العلويّ: الورقة ٢٤٦. نقل هذا النصّ عباس العزاويّ في تأريخ العراق بين احتلالين: ١١/٣ (الملحق الثاني) عن العلّامة الدكتور مصطفى جواد. وسينفرد العينيّ ـ المؤرّخ المتأخر ـ بالقول في عقد الجمان (حوادث ٦٤٨ ـ ٦٦٤هـ): ١٧٠، إنّ «عسكر بغداد دون ٢٠ ألف فارس».

(٦) سير أعلام النبلاء: ١٨٢/٢٣.

(٧) إعادة كتابة التاريخ: ٩٤ ـ ٩٧ (الطبعة الثانية)؛ سقوط الدولة العباسية: الغامديّ: ٣٥١ ـ ٣٦٩، الفصل المعنون: دور العناصر المسلمة من خارج أراضي الدولة العباسية في إسقاط الخلافة.

إلى التوقّف عن اجتياح بغداد والحصول على غنائمها، خصوصاً أنّ استسلام الخليفة- الذي سيحدث لاحقاً -كان دالّاً على ضعفه ومسكنته.

وربّما كان للمعلومات التي حصل عليها هولاكو وقادته العسكريون من القائدَيْن (أيبك الحلبيّ، وسيف الدين قليج)- اللّذين أُلقي القبض عليهما -وما أخبراه به عن عدد أفراد الجيش العباسيّ، وقياداته، ومعدَّاته، وفقر مقاتليه، وترك أكثرهم للخدمة العسكرية، ربّما كان لكلّ ذلك أثر فيما يبدو في (ظاهرِه) أنّه نبوءة من نصير الدين الطوسيّ بانتصار جيش هولاكو حين سأله عن مستقبل هجومه على بغداد، بينما هو في (باطنِه) حسابات قائمة على أساس المقارنة بين معطيات الواقع الميدانيّ، وإنَّ خليفةً بهذا الضعف وجيشاً بتلك القِلّة في العدّة والعدد، لن يستطيعا الثبات بوجه الجيش المغوليّ الضخم، وعليه فإنَّ الانتصار سيكون حليف هولاكو كما أنبأه بذلك نصير الدين.

ساعة الامتحان

لاهتمام المغول الشهير بالتنجيم والطالع، بادر هولاكو إلى سؤال المنجّمين عمَّا يمكن أن يطمئنه نفسياً وهو متوجِّه إلى عاصمة الخلافة بغداد التي ملأ صيتُها الآفاق، وكان «يتشاور مع أركان الدولة وأعيان الحضرة في أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد، فكان كلٌّ منهم يبدي رأيه حسب ما يعتقد، ثم طلب حسامَ الدين المنجِّم الذي كان مصاحباً له بأمرٍ من القآن[1]؛ ليختار وقت النزول والركوب، وقال له: بيِّنْ كلّ ما يبدو لك في النجوم دون مداهنة. ولمّا كانت له جرأة بسبب حظوته فقد قال بصورة مطلقة: إنّه ليس ميموناً قصْد أسرة الخلافة والزحف بالجيش إلى بغداد؛ إذ إنّ كلّ ملك حتى زماننا هذا قصد بغداد والعباسيين لم يستمتع بالملك والعمر، وإذا لم يصغِ الملك إلى كلامي وذهب إلى هناك، فستظهر ستة أنواعٍ من الفساد؛ أولها: أن تنفق الخيول كلّها ويمرض الجنود، وثانيها: أنّ الشمس لا تطلع، وثالثها: أنّ المطر لا ينزل، ورابعها: تهب ريح صرصر وينهار العالم بالزلزال، وخامسها: لا ينبت النبات في الأرض، وسادسها: أنّ الملك الأعظم يموت في تلك السنة. فطلب منه هولاكو شهادةً بصحة هذا الكلام، فكتبها المسكين».

(١) يعني بأمرٍ من شقيقه منكو قاآن.

كان هذا هو الرأي الأول، أمّا الثاني فكان رأي اللّامات (الكهّان) والأمراء الذين قالوا: «إنّ الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة».

ثمّ إنّ هولاكو «استدعى الخواجه نصير الدين الطوسيّ واستشاره، فخاف الخواجه وظنّ أنّ الأمر على سبيل الاختبار، فقال: لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث.

فقال هولاكو: إذن ما ذا يكون؟

قال: إنّ هولاكو سيحلُّ محلَّ الخليفة.

وقد استشهد نصير الدين بالحديث الشريف: **(إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان بموت أحد)** »[١].

وقد طلبَ هولاكو إلى المنجِّم حسام الدين أن «يتباحث مع الخواجه نصير الدين الذي قال: لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام ولم يحدث فسادٌ قطّ، ولو قيل إنّ للعباسيّين مكرمة خاصّة بهم فإنّ طاهر [بن الحسين الخزاعيّ] جاء من خراسان بأمر المأمون وقتل أخاه محمّداً الأمينَ، وقتل المتوكلَ ابنُه بالاتفاق مع الأمراء، كذلك قَتَلَ الأمراءُ والغلمانُ (الخليفتين) المنتصرَ والمعتزَّ، وقُتِلَ عددٌ من الخلفاء على يد جملة أشخاصٍ فلم تختلَّ الأمور»[٢].

ولقد بالغ عباس العزاويّ حين رأى أنَّ استشارة هولاكو لنصير الدين كانت سبباً لهجومه على بغداد عندما اختصر كلام رشيد الدين بهذا الشأن، وقال: «استطلع هولاكو رأي حسام الدين المنجِّم في أمر الهجوم على بغداد وما يقوله علم التنجيم بذلك...، فبيَّن له الأخطار التي تنجم من الإقدام على هذا العمل[٣]، أوجسَ خيفة وحذَّره من التصدّي للفتح، ولكن هولاكو لم يقف عنده واستشار الخواجه الطوسيّ، فأفتاه من الطالع بأن لا ضرر على السلطان، وإنّما يُقتَل الخليفة ويُدَمَّر جيشه. وبناءً على هذه الفتوى زَحَفَ الجيش من كلّ صوب ودخلَ هولاكو بغداد، فاكتسبَ الخواجه الطوسيّ مكاناً لائقاً لنجاح

(١) مسامرة الأخبار: الآقسرائيّ: ٤٨. والحديث الشريف في مسند أحمد: ٢٩٨/١، ٣٥٨...؛ وصحيح البخاريّ: ٢٤/٢، ٢٦...؛ وصحيح مسلم: ٢٨/٣، ٣١...؛ وغيرها من المصادر.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩١/٢ ـ ٨٩٢، ٢٧٩/(١)٢ ـ ٢٨٠ (الترجمة العربية).

(٣) لم يذكر العزاويّ تلك الأخطار التي ذكرها حسام الدين، وقد ذكرناها آنفاً.

الهجوم طبقَ الفتوى»[١]. وبالغ الباحث السعيد جمال الدين عندما رأى أنّ نصير الدين الطوسيّ عَمَدَ «إلى التحريض على تدميرها»[٢]، يعني تدمير الخلافة العباسية، وكلا الباحثين استنبطَ من النصّ ما ليس فيه؛ ذلك أنّ هولاكو منذ انطلاقه بجيشه من منغوليا سنة (٦٥٠هـ)، كان قادماً لاحتلال عاصمة الخلافة العباسية، فضلاً عن المعلومات التي حصل عليها من القائدين العباسيّيْن الأسيريْن وغيرهما عن الخليفة وجيشه، وأوضاع البلاد كانت تعزِّز ثقته بالانتصار في ضوء مقارنته بين أعداد الجند لديه ولدى الخليفة، ومقارنته بين الأسلحة والمعدّات.

ومع ذلك لدينا بهذا الشأن وجهة نظرٍ للباحث الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي يقول فيها: «ولعلّ في تعبير رشيد الدين (فخاف وظنَّ أنّ الأمر على سبيل الاختبار)، ما يبرّئ ساحة الطوسيّ؛ لأنّ الرجل فعلاً كان قريبَ عهدٍ بخدمة هولاكو، وربّما ظنَّ أنّ هذا أول امتحان له لمعرفة صدق نواياه تجاه المغول، فإذا أضفنا إلى ذلك ما قاله ابن شاكر الكتبيّ عنه من أنّه (كان للمسلمين به نفعٌ خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يَبَرُّهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم) (فوَات الوفيات: ٣١٠/٢ - ٣١١)، وذلك بعد أن أصبح ذا نفوذٍ في دولة المغول؛ إذا أضفنا ذلك أدركنا - في الأقلّ - أنّه ليس لدينا دليل أكيد على سوء نيّة هذا الرجل تجاه الخلافة، وتجاه إخوانه المسلمين المخالفين له في المذهب»[٣].

ويمكن أن يؤيِّد رأي الدكتور بدوي ما ذُكِر من أنّ هولاكو عاقب بعد ذلك المنجِّمين الذين خوَّفوه من غزو بغداد «فأذاقهم أشدَّ أنواع العذاب، وأوردهم مورد العدم، فنالهم ثواب الآخرة»[٤].

---

(١) تأريخ علم الفلك: العزاويّ: ٣٣.

(٢) هو الدكتور محمّد السعيد جمال الدين الأستاذ المشارك في جامعتي عين شمس بالقاهرة والإمام محمّد بن سعود الإسلامية، في كتابه: (علاء الدين عطا ملك الجوينيّ حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد): ١٠.

(٣) التأريخ السياسيّ والفكريّ للمذهب السنيّ في المشرق الإسلاميّ: بدوي: ٢٧٠.

(٤) على حد تعبير الآقسرائيّ في (مسامرة الأخبار): ٤٩.

هذا فضلاً عن أنّ حسام الدين ونصير الدين لم يكونا المنجِّميْنِ الوحيدَيْنِ في رَكْب هولاكو؛ فلدى تحرّكه من قراقورم (عاصمة منغوليا آنذاك) استصحب معه جمعاً من «حكماء ومنجِّمي وأطباء الخطا»[١]. وعلى حدّ تعبير أحد القادة المغول وقد ذكر له أحد المنجِّمين فألاً سيِّئاً بشأن إحدى المعارك: «ينبغي أن لا يُذكَر الفأل السيّئ في حضرة الملوك، ويجب أن لا ندَعَ الخوف يتسلّل إلى نفوسنا»[٢].

وقد يكون لبعض ما كان يُشاع عن بغداد، وأنّه قُدِّرَ أن لا يموت فيها خليفة أثرٌ في استطلاع هولاكو رأيي حسام الدين ونصير الدين، وأنّه -أي هولاكو- لن يتمكن من القضاء على الخليفة المقيم في بغداد، ومن ذلك مثلاً ما حَكَمَ به نوبخت المنجِّم ونَظَمَه الشاعر[٣]:

قضى ربُّهـا أن لا يموتَ خليفةٌ بها، إنّه ما شاء في خَلْقِهِ يقضي

حتى عندما قُتِلَ الخليفةُ الأمين فيها، تأوَّلوا ذلك وقالوا: «لم يُقتَل في المدينة، وإنّما كان قد نزل في سفينةٍ إلى دجلة يتنزَّه، فقُبِضَ عليه في وسط دجلة، وقُتِلَ هناك»[٤]؛ أي أنّه قُتِل وهو على (الماء) وليس على (أرض) بغداد. ومعلوم أنّ دجلة يشقُّ وسط بغداد إلى نصفين. بل إنّ الإشاعة القائلة بعدم موت خليفةٍ في بغداد ظلَّت متداوَلةً أيضاً حتى بعد أنْ قُتِلَ المستعصم فيها[٥].

دخول بغداد

لدينا نصّ مهم يقول: إنّ آخر وفد بعث به الخليفة إلى هولاكو للتفاوض معه كان مؤلَّفاً من مستشاره الخاص نجم الدين عبد الغنيّ المعروف بابن الدرنوس، والوزير ابن العلقميّ، ورأس الكنيسة الكاثوليكية مار مكيخا «يطلبون الأمانَ له ولأبنائه وأهله، ويعتذرون له

(١) جامع التواريخ: ٦. والخطا أو الختا هي بلاد الصين الشمالية.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٩٥٧/٢، ٣٦/(٢)٢ (الترجمة العربية).

(٣) كتاب البلدان: ابن الفقيه: ٢٩١؛ تأريخ مدينة السلام: الخطيب البغداديّ: ٣٧٧/١؛ آثار البلاد: زكريا القزوينيّ: ٣١٤. والشاعر هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفيّ.

(٤) تأريخ مدينة السلام: ٣٧٨/١؛ البداية والنهاية: ١٠٥/١٠.

(٥) حيث ذكرها حمد الله المستوفيّ في كتابه (نزهة القلوب): ٣٥، الذي ألَّفه سنة ٧٤٠هـ.

بأنَّ ما جرى إنّما جرى على يد مشيرين أشرار، وأنّهم [أي الخليفة وأفراد أُسرته] إنْ ظلُّوا على قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدُّون له الجزية. ولمّا سار هؤلاء [الثلاثة] وأكملوا سفارتهم، ثبَّطهم هولاكو ولم يأذن لهم أن يعودوا إلى الخليفة، وشَدَّد القتال»[١].

في يوم الاثنين ٢٨ من شهر محرم سنة (٦٥٦هـ)، تسلَّق الجُند الزاحفون أسوار بغداد في منطقة برج العجميّ وطهَّروها من الناس، لكنّهم لم يدخلوا المدينة[٢].

في (١ صفر) أرسل هولاكو رسالةً إلى الخليفة بيد نصير الدين الطوسيّ ومعه أمير مغوليّ يُدعى آيتمور، وأرسل ثلاثةً من كبار شخصيات بلاط المستعصم ممّن كانوا قد جاؤوه برسالةٍ من الخليفة يوم ٢٨ محرم وأبقاهم عنده، وهم: فخر الدين الدامغانيّ صاحب ديوان الخليفة، وشرف الدين عبد الله ابن الجوزيّ محتسب بغداد[٣]، وابن الدرنوس مستشار الخليفة الخاص، مع كتاب أمان إلى قائدَيْ الجيش العباسيّ الدويدار الصغير وسليمان شاه[٤]. وإنَّ إرسال هولاكو شخصاً مع نصير الدين برسالته إلى الخليفة دالٌّ على أنّه لم يكن يطمئنُّ تماماً بعدُ إليه.

في اليوم نفسه (١ صفر) أُصيبت عين أحد كبار أمراء هولاكو بسهم جاء من جانب بغداد، فاستشاط غضباً، فأمر بالتعجيل في الاستيلاء على بغداد، ثم طلب إلى نصير الدين الطوسيّ أنّ يعلن على باب الحلبة أماناً للناس، فبدأ الناس بالخروج من المدينة[٥]. ويبدو أنّ هؤلاء قد نجوا من الموت؛ ذلك أنَّ مَن بقي منهم فيها قد ناله القتل أو الموت تحت الأنقاض أو الاحتراق.

في يوم الأحد (٤ صفر) استسلمَ الخليفة إلى هولاكو، فاعتقله مع أنجاله الثلاثة، ثم

---

(١) تأريخ الزمان: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٧/٢، ٢(١)/٢٨٧ (الترجمة العربية). والمقصود بالناس هم المواطنون الذين كانوا يدافعون عن بغداد بما لديهم من أسلحة متواضعة، ينظر: إقبال الأعمال: رضي الدين ابن طاوس: ٩٥/٣.

(٣) عُيِّن محتسباً منذ سنة ٦٤٢ (ينظر: كتاب الحوادث: ٢٣١).

(٤) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٨/٢، ٢(١)/٢٨٩(الترجمة العربية).

(٥) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٩/٢، ٢(١)/ ٢٨٩(الترجمة العربية).

خَدَعَه فطلب إليه أن يأمر المقاتلين من سكّان المدينة ليتخلّوا عن أسلحتهم ويسلّموا أنفسهم لكي يحصيهم- فبعد انكسار الجيش العباسيّ كانت هناك مقاومة شعبية من المدنيين في بغداد من ذوي النجدة والحميّة- فأذعن الخليفة الساذج لطلب هولاكو، ونفَّذ ما أراد، فبعث مَن ينادي في المدينة بأن يضع الناس أسلحتهم ويخرجوا، واستجاب المقاتلون لنداء خليفتهم، فكان مصير الحشود التي خرجت زمراً هو الذبح على أيدي الجنود المغول[١].

في يوم الأربعاء (٧ صفر) بدأ الجيش المغوليّ تنفيذ عمليات القتل لمواطني بغداد، ونهب الممتلكات والإحراق والتدمير[٢].

في يوم الجمعة (٩ صفر) دخل هولاكو إلى بغداد «ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسيّ»[٣]، وجلب معه الخليفة بُغية مشاهدة قصره، ودخل إلى أحد قصور الخليفة وهو الدار المثَمَّنة، وطلب إليه أن يقدِّم إليهم هدايا؛ لكونهم ضيوفاً لديه، فقدَّم بين يدي هولاكو أشياء ثمينة من جواهر ونفائس وثياب، فقام هذا بتوزيعها على مَن كان قد قدِمَ معه، ثم طلب إليه أن يُخرِج لهم كنوزه السرِّية، فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب الأحمر في ساحة القصر، وحين حفروا اكتشفوا أنه ملآن بسبائك الذهب الأحمر، وكان وزن كلّ سبيكة ١٠٠ مثقال. ثم أحصى هولاكو زوجات الخليفة وسُرِّياته وجواريه...

ثم في مساء ذلك اليوم عاد هولاكو ومن معه إلى معسكره خارج بغداد[٤].

في مساء الأربعاء (١٤ صفر سنة ٦٥٦هـ)، قتل المغول الخليفة ونجله الأكبر.

وفي يوم الجمعة (١٦ صفر) قتلوا نجل الخليفة الأوسط[٥].

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك لدى رشيد الدين في (جامع التواريخ) (ط روشن وموسوي): ٢/٩٠٠، ٢(١)/٢٩٠ ـ ٢٩١ (الترجمة العربية)، وقال مؤلّف كتاب (الحوادث) ٣٥٩: إنّ ذلك في اليوم الخامس من شهر صفر.

(٢) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٢/٩٠٠، ٢(١)/ ٢٩١(الترجمة العربية).

(٣) كتاب الحوادث: ٣٨٢.

(٤) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٢/٩٠٠ ـ ٩٠١، ٢(١)/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ (الترجمة العربية).

(٥) جامع التواريخ: ٢/ ٩٠٢ (ط روشن وموسوي)، ٢(١)/ ٢٩٤(الترجمة العربية). وكان للمستعصم

أمّا ابنه الصغير مباركشاه فقد أُهدِيَ إلى أولجاي خاتون (زوجة هولاكو)، فأرسلته إلى مدينة مراغة؛ ليكون مع نصير الدين الطوسيّ، ثم زوَّجوه امرأةً مغوليّةً، فأنجب منها ولدين[١].

قُدِّرَ لنصير الدين الطوسيّ أن يكون شاهداً على تلك الواقعة الدامية، وأرَّخ تأريخ نهاية الدولة العباسيّة بيوم (٤ صفر سنة ٦٥٦هـ)، وهو اليوم الذي استسلم فيه الخليفة المستعصم لهولاكو، فنظمه ببيتين بالفارسية، ونترجمهما شعراً إلى لغتنا العربية[٢]:

عندمـا حلَّ من التأريـخ يومُ الأحدِ الرابعِ من شـهرِ صفرْ
وتصرَّمْن مِنَ الدَّهر المئون الستّ معْ ستٍّ وخمسين سنهْ
ومضى المستعصمُ الهاوي حثيثاً نحو هولاكو على حدِّ الخطرْ
طُوِيَتْ دولةُ حكَّامِ بني العباس في طيِّ سجلِّ الأزمنهْ

وقد دخل نصير الدين الطوسيّ العراق مرةً ثانية سنة (٦٦٢هـ)؛ «لتصفُّح الأحوال والنظر في الوقوف والبحث عن الأجناد والمماليك، ثم انحدر إلى واسط والبصرة، وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد»[٣]، ثم دخلَه في المدّة التي تلت شهر ربيعٍ الأول سنة (٦٧٢هـ)[٤]، فزار بغداد مع السلطان آباقا بن هولاكو الذي جاء للصيد وغادر بعدها البلاد، فبقي نصير الدين

ثلاثة أبناء: الأكبر أبو العباس أحمد، والأوسط أبو الفضل عبد الرحمن، الأصغر مباركشاه (ينظر: كتاب الحوادث: ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، وقد قُتل الأكبر والأوسط، ونجا الأصغر. وكان للمستعصم ابن آخر هو أبو نصر محمّد من إحدى حظاياه واسمها باب بشير، وقد توفي هو وأمه سنة ٦٥٣هـ (كتاب الحوادث: ٣١٩، ٣٢٤).

(١) جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٩٠٢/٢، ٢٩٤/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٢) هذان البيتان موجودان في واحدة من مخطوطات الرسالة المنسوبة إلى نصير الدين الطوسيّ الملحقة بآخر كتاب تاريخ جهانكشاي (ينظر: تاريخ جهانكشاي: ٧٨٨/٣، هامش العلّامة قزويني). وقد أوردهما فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ: ٣٢٥/٢) على أنهما لنصير الدين الطوسيّ؛ وذكرهما الآقسرائيّ (مسامرة الأخبار: ٤٩) بلا عزو إلى أحد. البيتان بالفارسية من بحر الرَّمَل وترجمناهما إلى العربية ببحر الرمل أيضاً لكن بمجزوئه.

(٣) كتاب الحوادث: ٣٨٢.

(٤) ذلك أنّه في ربيعٍ الأول من تلك السنة كان ما يزال في مراغة (ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ١٧٢/٢، ٨٦/٥).

«ببغداد، وتصفّح الأوقاف، وأَدَرَّ أخباز الفقهاء والمدرسين والصوفية، وأطلقَ المشاهرات[١]، وقرّر القواعد في الوقف، وأصلحها بعد اختلالها»[٢]، والتقى جمعاً من العلماء والمشاهير، وقُدِّرَ له أيضاً أن يموت ببغداد في ١٧ من ذي الحِجَّة سنة ٦٧٢هـ[٣]؛ إذ دُفن في مشهد الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام في المدينة المعروفة اليوم بالكاظمية.

إنّ جميع الوقائع التي شارك فيها نصير الدين من تفاصيل هذا الغزو المغوليّ أو شاهدها بعينيه تجعله مؤهلاً - إنْ شاءَ - لكتابة كلّ ذلك، لكنَّ المسألة هي هل هو الذي كتبَ هذا (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشاي أو لا؟

ذيل تاريخ جهانگشاي للجوينيّ:

المعروف أنّ علاء الدين عطا ملك الجوينيّ(ت ٦٨١هـ) انضمَّ إلى فريق الكتّاب العاملين في بلاط هولاكو منذ سنة (٦٥٤هـ)، ورافقه في غزواته اللّاحقة، ودوَّن بشكلٍ دقيق جميع ما شاهده خلال العمليات الحربية التي خاضها ذلك الغازي المغوليّ في كتابه الذائع الصيت (تاريخ جهانگشاي) الذي ابتدأه بظهور جنكيز خان على مسرح التاريخ وغزوه البلدان الإسلامية وغيرها، وتكلّم فيه على أبناء جنكيز خان وحروبهم، فضلاً عن كلامه على دولتي القراخطائيّين والخوارزمشاهيّين واضمحلالهما، وأخيراً تسنّم منكو قاآن حفيد جنكيز خان العرش وأسندَ إلى شقيقه هولاكو مَهمة غزو قلاع الإسماعيلية في إيران، ومن ثَمَّ الذهاب إلى بغداد مقرّ الخلافة العباسيّة، ومن هناك إلى بلاد الشام ومصر لضمِّ جميع هذه الممالك إلى الإمبراطورية المغولية، وكان آخر ما كتبه الجوينيّ

(١) هي الرواتب الشهرية التي كانت تُدفع للفقهاء والمدرسين والصوفية، فضلًا عن مخصصاتهم من الخُبز.

(٢) كتاب الحوادث: ٤١١.

(٣) نقل الذهبيّ عن المؤرّخ ظهير الدين ابن الكازرونيّ قوله: «مات المخدوم خواجا نصير الدين أبو جعفر الطوسيّ في سابع عشري ذي الحجة، وشيَّعه خلائقُ وصاحبُ الديوان والكبراءُ، ودُفن بمشهد الكاظم. وكان مليح الصورة، جميل الأفعال، مهيباً، عالماً، متقدّماً، سهل الأخلاق، متواضعاً، كريم الطباع، محتملاً» (تاريخ الإسلام: ١١٤/٥٠). قلتُ: إنَّ ما ورد في طبعة تدمري من أنّه مات «في سابع عشري» من سهو قلمه، فالصواب ما ورد في طبعة الدكتور معروف لـ(تاريخ الإسلام: ٢٥٣/١٥) وهو: (سابع عشر). وهذا يخالف ما ذُكِرَ في (كتاب الحوادث: ٤١٦) وما ذَكَرَه البرزاليُّ في (المقتفي: ٣٠٨/١) وفصيحُ الخوافيّ في (مجمل التواريخ: ٣٤٢/٢) من أنّه مات في ١٨ من ذي الحجة.

هو خبر قتل المغول للملك الإسماعيليّ ركن الدين خورشاه في الأول من ربيع الأول سنة (٦٥٥هـ)، ثم توقّف قلمُه البليغ والمقتدر عند ذلك التأريخ. وربّما كان تعيين هولاكو له في شهور سنة (٦٥٧هـ) حاكماً للعراق وخوزستان[١] سبباً في انشغاله عن مواصلة السير بتاريخه إلى التطورات اللّاحقة التي أعقبت ذلك التأريخ (أي ما بعد سنة ٦٥٥هـ).

وُجِدَ في بعض مخطوطات تاريخ جهانگشاي ملحق يمكن أن نعدَّه (ذيلاً) لهذا التاريخ، وقد دأب الباحثون على الإشارة إليه بصفته رسالةً منسوبةً إلى نصير الدين الطوسيّ بسبب ورود اسمه في عنوان هذا الذيل أو الرسالة. ويتضمَّن هذا الذيل كلاماً على الوقائع الخاصة بغزو هولاكو العراق، ويبدأ من الحقبة التي تَلَت توقُّف الجوينيّ عن الكتابة، وهو الزمن الذي عسكر فيه هولاكو بمدينة همذان الإيرانية، ومن هناك أرسل رسالةً إلى الخليفة المستعصم يطلب إليه أن يأتي لمقابلته، وما حدث بعدها من تقدّم القوات المغوليّة وتفاصيل تطورات الموقف الحربيّ الذي انتهى بدخول القوات المغوليّة إلى بغداد، ثم استسلام الخليفة وأنجاله، واستسلام الدويدار الصغير القائد العام للقوات العباسيّة مع القائد العسكريّ سليمان شاه وجلبهما ما بقي من قوات عباسيّة، فقتلهم المغول جميعاً، ثم أمر هولاكو بنهب بغداد، وأمره بعد ذلك بوقف الغارة، إذ أُحضر الخليفة بين يديه مع أنجاله فأمر بقتلهم. وأخيراً أمر هولاكو بتأليف الحكومة التي ستدير شؤون البلاد العراقيّة، ومغادرته العراق وعبوره الحدود العراقيّة إلى داخل إيران.

هذا هو ملخّص الذيل الصغير الحجم الذي يبتدئ بالصورة الآتية: «كيفية واقعة بغداد من نسخة المرحوم أفضل العالَم أستاذ البشر نصير الحق والدين محمّد بن محمّد الطوسيّ رحمه الله».

من الضروري التذكير بأمرين:

الأول: إنَّ الباحث الإيرانيّ العلَّامة محمّد بن عبد الوهاب قزوينيّ قد استند في تحقيقه الجزءين الأول والثاني من كتاب تاريخ جهانگشاي إلى ست مخطوطاتٍ من هذا الكتاب جميعها محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، واتّخذ إحداهنّ أصلاً، وهي التي كان تاريخ نسخها في الرابع من ذي الحجة سنة (٦٨٩هـ)، أي بعد ٨ سنوات تماماً من

(١) ينظر: تسلية الإخوان: الجوينيّ: الورقة ٨ب.

وفاة الجوينيّ التي حدثت في الرابع من ذي الحجة سنة (٦٨١هـ).

ثانياً: في تحقيقه الجزء الثالث من هذا الكتاب ذكر أنّه استند إلى اثنتي عشرة نسخة، وأنّ من بين الاثنتي عشرة مخطوطة هذه، ثلاثاً فقط ذُيِّلت في آخرها بهذا الذيل[١].

ونذكر هنا أنّ العلّامة محمّد قزوينيّ كان أول مَن اكتشف وجود نسخةٍ أُخرى من هذا (الذيل)، مدرَجة في ثنايا تاريخ ضخم باللغة الفارسية، محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس عنوانه (تاريخ نيكپي) (الأوراق ٤٦٠ ب - ٤٦٢ ب)، لمؤلّفه نيكپي بن مسعود ابن محمّد بن مسعود. ولقد أثبتنا في بحثٍ سابق لنا أنّ نيكپي هذا هو نفسه سعيد بن مسعود بن محمّد الكازرونيّ[٢] المتوفى سنة (٧٥٨هـ).

ويبدأ القسم الذي يتناول الحديث عن غزو هولاكو العراق من كتاب نيكپي بالعبارة الآتية: «الوقائع التي جرت للخليفة المستعصم وأتباعه، منقولة من ترجمة جهانگشاي المنقولة من نسخة ملك الحكماء الخواجه نصير الدين محمّد بن محمّد الطوسيّ نُوِّرَ قبرُه الذي قال...»[٣]. وقوله: «من ترجمة» تزيد الأمر غموضاً، فكتاب الجوينيّ هو باللغة الفارسية، وهذا (الذيل) أيضاً باللغة الفارسية، فما معنى قولِهِ «ترجمة»؟

وأشار قزويني إلى وجود قطعٍ متناثرة من (الذيل) في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبريّ (ت ٦٨٥هـ).

وبدَوْرِنا اكتشفنا مقاطع مطوّلةً منه في كتاب (جامع التواريخ) لرشيد الدين الهمذانيّ (ت ٧١٨هـ)، مع توسّعٍ يزيدُ كثيراً أحياناً على ما في هذا (الذيل)[٤].

---

(١) ينظر: مقدّمة تحقيق ذيل تاريخ جهانگشاي للجوينيّ: ٢٧٩/٣. وقد راجعنا نحن مثلًا ٦ مخطوطات لهذا الكتاب محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ بطهران فلم نجد هذا الذيل في أيٍّ منها (ينظر: مخطوطات تاريخ جهانگشاي للجوينيّ، الأرقام ٢٧٦، ٨٩٢، ٥٧٠١، ٩٣١١، ١٤١٨٩، ١٦٤٢٧).

(٢) عن ترجمة سعيد بن مسعود الكازرونيّ، ينظر: كشف الظنون: حاجي خليفة: ١٦٨٨/٢، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول: ٢٦٦/٣. ووردت وفاته في المصدرين سنة ٧٥٨هـ. وفي هدية العارفين: إسماعيل باشا: ٣٩١/١، والأعلام: الزركليّ: ١٠١/٣، ذُكر أنّه توفي سنة ٧٨٥هـ، وهو وهْم منهما.

(٣) تاريخ نيكپي: الورقة ٤٦٠ ب.

(٤) توجد هذه المقاطع التي يمكن مقارنتها مع هذا الذيل في (جامع التواريخ) (ط روشن

إذن أصبح لدينا من هذا (الذيل) أربع نسخ:

الأولى: النسخة الملحَقة بكتاب تاريخ جهانگشاي للجوينيّ.

الثانية: النسخة الموسّعة التي اقتبسها رشيد الدين من مصدرٍ ما ووضعها في كتابه (جامع التواريخ).

الثالثة: النسخة التي ضُمِّنت مقاطع منها في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبريّ؛ الذي نجد آخر واقعةٍ دوَّنها فيه (في تاريخه) حدثت في ٥ شعبان سنة (٦٨٣هـ).

الرابعة: النسخة التي ضمَّنها الكاتب نيكپي (وهو سعيد بن مسعود المتوفى سنة ٧٥٨هـ) تاريخَه.

لكن المفاجأة كانت في العثور على نسخةٍ من هذا (الذيل) ملحقة بتاريخ جهانگشاي، كُتبت سنة (٦٩٨هـ) _ أي بعد حوالي ١٧ سنة على وفاة الجُوَيْنيّ - محفوظة في المكتبة السليمانية بإستانبول تحت الرقم (٣٥٩)، فبعد انتهاء الناسخ من كتابة التاريخ والذيل، كتَبَ العبارة الآتية: «تمام شُد[1] كتاب تاريخ جهانگشاي جويني بحمد الله تعالى وجُوده، والصلاة على رسوله محمّد وآله الطاهرين الطيبين أجمعين في يوم الأحد الرابع عشر من شهر الله المعظّم شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة».

وهذا يعني أنّ الناسخ يعتقد أنّ التاريخ والذيل يشكّلان مجموعاً تاريخياً واحداً، برغم وضعه اسم نصير الدين الطُّوسِيّ في بداية (الذيل) الذي عنونَه بقوله بما ترجمته: «كيفية واقعة بغداد منقولة من نسخة المرحوم السعيد أفضل العالم فخر الحكماء أستاذ البشر نصير الملة والدين محمّد بن محمّد الطُّوسِيّ...». وهو العنوان الذي دأب ناسخوه على تصديره بها.

مَن هو كاتب هذا الذيل؟

ويتلخّص رأينا بالقول: إنَّ كاتب (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشاي، وابن العبريّ، ورشيد

وموسوي): ٨٨٣/٢ ـ ٩٠٤، وفي ٢٨١/(١)٢ ـ ٢٩٧ (الترجمة العربية).

(١) تَمام شُد تعني: تَمَّ.

الدين جميعاً قد نقلوا من مصدرٍ واحد، مصدرٍ نعتقد بشكلٍ جازمٍ أنّه كان مكتوباً باللغة العربيّة؛ ودليلنا هو اختلاف النصوص الفارسيّة في اختيار المفردات وترتيبها، وهذا ما سنقدِّم إثباتاً عليه من مقارنة مفرداتٍ من مقطعٍ صغيرٍ موجودٍ في (الذيل) الملحق بـ(تاريخ جهانگشاي)، وفي (جامع التواريخ) لرشيد الدين الهمذانيّ فقط.

وسبب إهمالنا النصّ الوارد في (تاريخ مختصر الدول) لابن العبريّ الذي لا شكّ في أنّه ذو علاقةٍ مباشرة بما نحن فيه؛ هو أنّ ابن العبريّ ألَّف كتابه هذا بالسريانيّة، ثم ترجمه إلى العربيّة[١]، وعليه فهو لا يصلح للمقارنة. وكذلك سنهمل النصّ المُضمَّن في تاريخ نيكپي؛ لأنّه صرَّح باقتباسه من تاريخ جهانگشاي.

المقطع الذي اخترناه يتحدّث عن منشور الأمان الذي وزَّعه المغول في أرجاء بغداد حينما كانوا يطوِّقون بغداد بقواتهم من جانبي الكرخ والرصافة، المنشور الذي منحوا بموجبه الأمان لشرائح معينة من المجتمع البغداديّ، وسنضعه بلغته الفارسية التي في الكتابين؛ لكي تتمّ المقارنة بين مفردات النصَّين، ومفرداته واضحة حتى لمَن لا يعرف الفارسيّة[٢]:

ذيل جهانگشاي

«بيست ودوُّم محرم سنة ستٍّ وخمسين وستمايه، شش شبانروز حرب كردند سخت، وپادشاه فرمود كه إين مثال نوشتند كه جماعت سادات[٣] ودانشمندان وإركون ومشايخ وكساني با جنگ نكنند، إيشان را أز ما أمان است. ومِثال بر تير بسته بشهر أنداختند أز شش طرف».

(١) يوحنا ابن العبريّ حياته وشعره: بهنام: ٣٥. وفيه أنّه ذهب إلى تبريز في سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م وفيها «طلبَ إليه فضلاء المسلمين أنْ يترجَم تاريخ الدول الذي ألَّفه بالسريانيّة، ففعلَ وأتى عليه بشهرٍ، فخرج كتابه مختصر الدول».

(٢) النص الأول في آخر كتاب (تاريخ جهانگشاي: ٧٨٧/٣)؛ والنصّ الثاني في (جامع التواريخ (ط روشن وموسوي): ٨٩٦/٢ ـ ٨٩٧) ، وفي ٢٨٧/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٣) السادات هنا هم أنفسهم العلويون (ذرية رسول الله من عليّ وفاطمة عليهما السلام) المذكورون لدى رشيد الدين.

جامع التواريخ

«سه شنبه بيست ودوم محرَّم به طالع حمل ابتداي حرب كردند وجنگ در پيوستند»، ثمَّ يأتي هنا كلام مقداره نصف صفحة من كتاب جامع التواريخ لا نجده في ذيل جهانگشا، ويأتي المقطع الذي سيشترك مع مثيله وهو: «وشش شبانه روز جنگ سخت كردند، وهولاكو خان فرمود تا شش يَرْلِيغ نوشتند كه قُضات ودانشمندان وشَيْخان وعَلَوِيَّان وإرْكَاوْنان وكساني كه با ما جنگ نكنند، إيشانْ را به جان أز ما أمان است؛ وكاغَذها بر تير بسته أز شش جانب شهر أنداختند».

الواضح هو أنّ المعنى واحد في النصّينِ، لكنّ الاختلاف في عددِ مَن مُنحوا الأمان، فهم لدى رشيد الدين ستة: القضاة، العلماء، الشيوخ، العلويّون، النصارى (أو رجال الدين النصارى)، الذين لا يرفعون بوجوهنا السلاح.

وهم خمسة في (الذيل) مع ترتيبٍ يختلف في التسلسل والألفاظ: جماعة السادات (العلويون)، العلماء، النصارى(أو رجال الدين النصارى)، الشيوخ، الذين لا يرفعون بوجوهنا السلاح.

فلو كان الاثنان نقلا عن مصدرٍ واحد مكتوب باللغة الفارسيّة لما وجدنا هذا الاختلاف في الألفاظ ولا في الترتيب؛ وهذا دالٌّ على أنّ النصّ الذي كان بين يدي المؤلِّفَينِ كان بالعربيّة حصراً، وحين ترجماه اختار كلُّ واحدٍ منهما أن يترجمه بأسلوبه الخاص، وقِسْ على ذلك بقية عبارات النصّ لديهما. وإنّما ارتأينا أن يكون النصّ الأصل المترجَم عنه عربياً؛ لكون مصادر وقائع الغزو المغوليّ قد كُتبت في البلاد الإسلاميّة آنذاك بإحدى اللّغتين العربيّة أو الفارسيّة.

وهناك فروق مُهمّة بين النصّين المكتوبين باللغة الفارسية، وإنَّ مَن يقارنهما سيجد اختلافاتٍ بينهما؛ يمكن أن يكون السبب فيها أنَّ كاتب (الذيل) كان يختصر في النقل، بينما كان رشيد الدين ينقل عن المصدر الذي بين يديه بتوسّع، لكن في المقاطع المتشابهة تماماً - كما رأينا آنفاً - لا يمكن تعليل الاختلاف إلّا بكونهما ينقلان عن مصدرٍ

مكتوب بلغةٍ غير فارسيّة (افترضنا أنّها العربية)، وأنّ كلاً منهما كان يترجمه على هواه.

«نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين»

هذه العبارة قالها المؤرّخ البغداديّ الشهير ابن الفُوَطِيّ (ت ٧٢٣هـ)[١]، وهو يقتبس نصّاً من الطوسيّ، وهي ليست المرة الوحيدة التي يشير فيها إلى اقتباسه منه، فقد عبّر مرةً أخرى عن ذلك وهو يترجم نقيبَ الريّ بالقول: «نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين»، وفي ترجمة أحد المشاهير: «ذكره مولانا نصير الدين، ونقلتُ من خطِّه، قال...»، وفي ترجمةٍ أخرى: «ونقلتُ من خطّ مولانا نصير الدين... ما نسبَه إلى قطب الدين المذكور»، وعن أحد الشعراء: «ذكره مولانا نصير الدين في مجموعِهِ وأنشدَ له...»، و«قرأتُ بخطّ مولانا السعيد نصير الدين أبي جعفر الطوسيّ طاب ثراه على كتاب مدارج الكمال إلى معارج الجلال...»، وعن أحد التفاسير: «رأيتُه في خِزانة مولانا نصير»، وأشار مرةً ثانية أيضاً إلى خِزانة كتب نصير الدين هذه[٢].

كلّ هذا يشير إلى علاقةٍ حميمةٍ بين مؤرّخنا ابن الفُوَطِيّ ونصير الدين الطوسيّ؛ إذ كان يسمح له أن ينقِّب في دفاتره الخاصّة المكتوبة بخطّ يده التي منها (مجموع) فيه تراجم بعض المشاهير، بل ويفتِّش في خِزانة كتبه، وينقل منها ما يشاء، ويجد على أغلفة أحد الكتب ما كتبه نصير الدين أيضاً.

لفهم هذه العلاقة بين الرجلين ينبغي لنا التذكير بأنّ ابن الفُوَطِيّ وشقيقه أَسَرَهما المغول خلال هجومهم على بغداد، وبقي في أسرهم ثلاث سنوات، ثم فرَّ منهم سنة (٦٥٩هـ)[٣]، وذهب إلى نصير الدين في مرصد مراغة؛ ليدرس عليه، قال الذهبيّ في ترجمته ابن الفُوَطِيّ: «العالم البارع المتفنّن، المحدّث المفيد، مؤرّخ الآفاق، مفخرة أهل العراق، مولده في المحرم سنة ٦٤٢هـ ببغداد، وأُسر في الوَقعة وهو حَدَثٌ، ثم صار إلى أستاذه ومعلّمه خواجا نصير الطوسيّ في سنة ٦٦٠هـ، فأخذ عنه علوم الأوائل،

(١) وردت العبارة في كتابه (تلخيص مجمع الآداب: ٢٠٨/٥).

(٢) عن النصوص التي نقلناها آنفاً، ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ٢٦٦/١، ٦٦/٢، ٣٥٧/٣، ٤٥٢، ٥٣١، ٥٦٥، ٢٢/٤ على التوالي.

(٣) تلخيص مجمع الآداب: ١٣٩/٣.

ومَهَرَ على غيره في الأدب، ومَهَرَ في التاريخ والشعر وأيام الناس، وله النظم والنثر والباع الأطول في ترصيع تراجم الناس، وله ذكاءٌ مفرطٌ وخطٌّ منسوبٌ رشيقٌ وفضائلُ كثيرة، سمع الكثير وعُنِيَ بهذا الشأن، وكَتَبَ وجَمَعَ وأفادَ؛ فلعلَّ أن يُكفَّر به عنه. كتب من التواريخ ما لا يوصف، ومصنّفاته وِقْرُ بعير، خزن كتبَ الرَّصد[١] بضع عشرة سنة، فظفر بكتبٍ نفيسة، وحصل من التواريخ مالا مزيد عليه، ثم سكن بعد مراغة بغدادَ، ووَلِيَ خزنَ كتب المستنصرية، فبقي عليها والياً إلى أن مات[٢]، وليس في البلاد أكثر من كتب هاتين الخِزانتين، وعمل تأريخاً كبيراً لم يبيِّضه، ثم عمل آخرَ دوّنه في خمسين مجلّداً سمَّاه مجمعَ الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب»[٣]، وكان يختلف إلى سوق الكتب فيها، وانكبَّ على التأليف حتى وفاته فيها[٤]في الثالث من المحرم سنة ٧٢٣، ودُفن بالشونيزية ببغداد[٥]. عُثِرَ على قسمٍ صغير من ملخَّص كتابه (مجمع الآداب) يحمل عنوان (تلخيص مجمع الآداب) الذي حوى معلوماتٍ ذات قيمةٍ علميّة عالية فطُبع.

إذن كان نصيرُ الدين الطوسيّ أستاذَ مؤرّخنا ابن الفُوَطِيّ وراعيه، وهذا هو السبب الذي جعله يطَّلع على أوراق النصير الخاصة والعامة.

ولحسن الحظ فقد عثرنا لدى ابن الفُوَطِيّ على مقطعٍ من نصٍّ خاصٍّ بواقعة بغداد كتَبَه نصير الدين الطوسيّ بصورةٍ لا يرقى إليها الشكّ إطلاقاً. النصّ نقله ابن الفُوَطِيّ (٧٢٣هـ)، وابتدأه بقوله: «نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين أنّ هولاكو استولى على بغداد...».

سنضع هنا النصّ الخاص باستسلام الخليفة المستعصم وأنجاله إلى هولاكو، الذي بدأه ابن الفُوَطِيّ بقوله: «نقلتُ من خطِّ مولانا...»، وبإزائه ما يقابله من الذيل الملحق بتاريخ

(١) هو المرصد الفلكي الذي بناه نصير الدين الطوسيّ في مراغة بدعم من هولاكو، وكان فيه مكتبة ضخمة اشتملت على أربع مئة ألف مجلد كما يقول ابن حبيب في (درّة الأسلاك: ٢٠٧/١).

(٢) ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ١٤٥/٣؛ المنهل الصافي: ابن تغري بردي: ٢٥٦/٧.

(٣) تذكرة الحفّاظ: الذهبيّ: ١٤٩٣/٤، ذيل تأريخ الإسلام: ٢٥٥ ـ ٢٥٨؛ نجد الترجمة نفسها ـ مع تغيير قليل في بعض ألفاظها أحياناً ـ لدى: ابن شاكر الكتبيّ في (فوات الوفيات: ٦٥٩/١)؛ أعيان العصر: الصفديّ: ٦٢/٣؛ الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب (ط الدكتور العثيمين): ٤٤٩/٤.

(٤) تلخيص مجمع الآداب: ٢٠٨/٥؛ درّة الأسلاك: ٢٠٧/١.

(٥) البداية والنهاية: ١٢٢/١٤. ومقبرة الشونيزية هي مقبرة الشيخ جنيد الحالية.

جهانگشاي الذي عنوانه «كيفية واقعة بغداد» بُغية المقارنة واستخلاص النتائج:

رواية ابن الفُوَطِيّ[١]

«نقلتُ من خطِّ مولانا نصير الدين أنّ هولاكو استولى على بغداد صبيحة الاثنين ثامن عشري[٢] المحرَّم.

وخرج عبد الرحمن ابن الخليفة [الأوسط] يوم الثلاثاء تاسع عشريِّهِ.

وخرج الخليفة يوم الأحد رابع صفر.

وحضرَ هولاكو الدارَ المُثَمَّنَة وأَحْضَرَ الخليفةَ يومَ الخميس ثامن صفر.

وقَتَلُوه بظاهر بغداد ما بين الوقف ليلة الخميس من صفر، وقتل ابنه عبد الرحمن بالقرب منه.

وفي اليوم الثاني قُتِلَ ابنه الأكبر.

وانقرضت الدولة العباسية، وكانت مدَّتها خمس مئة وثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشهر ويوماً واحداً».

رواية كيفية واقعة بغداد

«حميَ وطيس الحرب ليلاً ونهاراً حتى اليوم الثامن والعشرين من المحرَّم، فمع بزوغ شمس ذلك اليوم اعتلى الجنود المغول السور [سور بغداد]...

في الرابع من صفر خرج الخليفة للقاء الملك [هولاكو] مع ابنه وخاصَّته من الأئمة والسادات والمشايخ. فأنزلوهم في باب كلواذى[٣]. ثم أمر هولاكو جنده بنهب المدينة.

وتوجَّه الملك لمشاهدة قصر الخليفة مصطحباً معه جمعاً من رجاله، ثم أمر بإحضار الخليفة وطلب إليه أنّ يقدِّم له ولقادته الهدايا...

---

(١) تلخيص مجمع الآداب: ٢٠٨/٥.

(٢) ثامن عشري تعني الثامن والعشرين.

(٣) باب كلواذى هو ما يُعرف اليوم بمنطقة الباب الشرقي في قلب بغداد.

في الرابع عشر من صفر خرج الملك من باب المدينة وطلب الخليفة فأُحضر هناك، وجلبوا ابنه الأوسط عَقِبَه مع خمسة أو ستة خَدَم. وفي ذلك اليوم وفي تلك القرية قُضيَ عليه مع نجله الأوسط.

وفي اليوم التالي قُتل نجله الأكبر ومَن كان معه في باب كلواذى».

من الواضح أنّ كاتبيْ هذين النصّين هما اثنان وليس الكاتب واحداً، ولا يقولنَّ قائل إنّ النصّ الذي لدى ابن الفُوَطِيّ هو مختصر؛ فهذا اختصار مُخِلٌّ لا يمكن صدوره عن مؤرّخٍ متمرّسٍ كابن الفُوَطِيّ.

واستناداً إلى ما تقدَّم فإنّ (الذيل) الملحق بتاريخ جهانگشا ليس لنصير الدين الطُّوسِيّ، وأنّ الاعتقاد بما اعتقده البروفسور إدوارد براون من أنّه يمكن أن يكون «إضافةَ مؤلِّفٍ متأخِّر»[1]؛ لا يمكن القبول به مع وجود النسخة التي ذكرناها آنفاً من هذا (الذيل)، التي كُتبت في زمنٍ متقدِّم يرجع إلى عهدٍ تلا وفاة مؤلّفه الجُوَيْنيّ بقليل (سنة ٦٩٨هـ)، وينبغي لنا البحث عن مؤلِّف هذا (الذيل).

(١) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، بارتولد: ١١٢.

المصادر والمراجع

المخطوطة

١. أخلاق ناصري: نصير الدين الطوسيّ، محمّد بن محمّد بن الحسن الإماميّ (ت ٦٧٢هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ١٠٢٢٤.

٢. تأريخ: نيكپي (سعيد بن مسعود بن محمّد الكازرونيّ) (ت ٧٥٨هـ)، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس، تحت الرقم بلوشيه (Blochet)، ١/ ٢٥٣.

٣. تاريخ جهانگشاي: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك محمّد بن محمّد (ت ٦٨١هـ)، سِت نسخٍ مخطوطة من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران تحت الأرقام ٢٧٦، ٨٩٢، ٥٧٠١، ٩٣١١، ١٤١٨٩، ١٦٤٢٧.

٤. تاريخ رويان: أولياء الله آملي (انتهى من تأليف كتابه سنة ٨٠٥هـ)، مخطوطة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، تحت الرقم ٤٠٧٥.

٥. تاريخ طبرستان ورويان ومازندران: ظهير الدين المرعشيّ، ابن نصير الدين بن كمال الدين (كان حياً ٨٩٤هـ)، مكتبة مجلس سنا، طهران، تحت الرقم ٥٩٢.

٦. تجزية الأمصار وتزجية الأعصار: وصّاف الحضرة، عبد الله بن فضل الشيرازيّ (ت ٧٣٠هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، تحت الرقم ١١٨ط.

٧. التحفة في نظم أصول الأنساب: الحسنيّ العلويّ، محمّد (من أعلام القرن السابع الهجري)، مخطوط اقتبس منه عباس العزاويّ في (تأريخ العراق بين احتلالين)، مطبعة بغداد، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

٨. تسلية الإخوان: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك (ت٦٨٣هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، تحت الرقم ٧٥٥.

٩. تقويم التواريخ: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي القسطنطينيّ العُثْمَانيّ(ت ١٠٦٧هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ٤٧٧٢.

١٠. درّة الأسلاك في دولة الأتراك: ابن حبيب الحلبيّ، الحسن بن عمر بن الحسن الشَّافِعِيّ (ت ٧٧٩هـ)، مخطوطة مكتبة أَيَا صوفيا، تحت الرقم ٢٣٣.

١١. قواعد ورسم الخط ومصطلحات تركي جغتايي: مجهول، كتيِّب مخطوط ملحق في آخر مخطوطة تاريخ جهانگشاي للجُوَيْنيّ المرقمة ٩٣١١ المؤرّخة في ١٣٢٧هـ، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران.

١٢. مجمل التواريخ: كمال الدين المنجِّم، ابن جلال الدين، (دوَّن فيه الوقائع حتى نهاية سنة ١٠٤٨هـ)،

مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، تحت الرقم ١٤١٣٥.

١٣. هفت إقليم: أمين أحمد الرازيّ (انتهى من تأليف كتابه سنة ١٠٠٢هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى في طهران، تحت الرقم ٨٣٣٨.

المطبوعة بالعربية

١٤. ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان: قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، محمود بن مسعود بن مصلح الشَّافِعِيّ (ت ٧١٠هـ)، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، كربلاء، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

١٥. إعادة كتابة التأريخ، إسقاط الخلافة العباسية أنموذجاً: الهادي، يوسف، دار الوسط، لندن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، وصدر في طبعة ثانية تحت عنوان إعادة كتابة التأريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً عن المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، ٢٠١٢م.

١٦. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: الزِّرِكْلِيّ، خير الدين بن محمود بن مُحَمّد (ت ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

١٧. أعيان العصر وأعوان النصر: الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشافعيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور عليّ أبو زيد ورفقائه، دار الفكر المعاصر في بيروت، دار الفكر في دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٨. إقبال الأعمال: رضيّ الدين ابن طاوس، عليّ بن موسى بن جعفر العلويّ الإماميّ (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.

١٩. البداية والنهاية: ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القُرَشيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عَليّ شيري، دار إحياء التراث العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذَّهَبيّ، شمس الدين مُحَمّد بن أحمد بن عثمان الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. واستندنا أيضاً إلى الطبعة التي حقَّقها الدكتور بشَّار عوَّاد معروف وصدرت في بيروت عن دار الغرب الإسلامي سّنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢١. تاريخ الزَّمَان: ابن العِبْرِيّ، جمال الدين غريغوريوس بن أهرون المَلطيّ (ت ٦٨٥هـ)، تَرْجَمَة: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٢. التأريخ السياسيّ والفكريّ للمذهب السنيّ في المشرق الإسلاميّ من القرن الخامس الهجريّ حتى سقوط بغداد: بدوي، الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح، دار الوفاء بمدينة المنصورة في مصر، الطبعة الثانية،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٣. تأريخ العراق بين احتلالين: العَزَّاويّ، المحامي عباس بن محمّد بن ثامر (ت ١٩٧١م)، مطبعة بغداد، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

٢٤. تأريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهود التالية لأيام العباسيّين من سنة ٦٥٦ - ١٣٣٥هـ/١٢٥٨ - ١٩١٧م: المحامي عباس العَزَّاويّ، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

٢٥. تاريخ مختصر الدول: ابن العِبْرِيّ، تحقيق: الأب أنطون صالحاني اليسوعيّ، دار الرائد اللبنانيِّ، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦. تأريخ مدينة السلام: الخطيب البغداديّ، أحمد بن علي بن ثابت الشافعيّ (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٧. تذكرة الحُفَّاظ: شمس الدين الذهبيّ، تحقيق: عبد الرحمن المعلميّ، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٥ - ١٩٥٨م.

٢٨. تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغوليّ: بارتولد، فاسيلي فلاديمير بارتولد (ت ١٩٣٠م)، ترجمة: الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٩. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفُوَطِيّ، عبد الرزاق بن أحمد بن مُحَمّد الشَّيباني الحَنْبَلِيّ (ت ٧٢٣هـ)، تحقيق: مُحَمّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ١٤١٧هـ.

٣٠. جامع التواريخ، تأريخ المغول، الإيلخانيون، تأريخ أبناء هُولاكُو، تأريخ المغول: الإيلخانيون، تأريخ هُولاكُو (المجلد الثاني - الجزءان الأول والثاني): رشيد الدين الهَمَذَانيّ، تَرْجَمَة: مُحَمّد صادق نشأت ومحمّد موسى هنداويّ والدكتور فؤاد الصيّاد، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهرانيّ، محسن بن عليّ الإماميّ (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٢. ذيل تأريخ الإسلام: الذهبيّ، تحقيق: مازن بن سالم باوزير، دار المغني، الرياض.

٣٣. الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبليّ (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين، مكتبة العبيكان، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٣٤. سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة ودور الشِّيعَة بين الحقيقة والاتهام: الغامِديّ، الدكتور سعد بن مُحَمّد حُذيفة، دار ابن حذيفة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٥. سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي القسطنطينيّ العُثْمَانيّ (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، منظمة المؤتمر الإسلاميّ، إستانبول، ٢٠١٠م.

٣٦. سير أعلام النبلاء: الذَّهَبيّ، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٧. صحيح البخاريّ: البخاريّ، محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، ١٤٠١هـ.

٣٨. صحيح مسلم: مسلم النيسابوريّ، مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣٩. عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان: العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفيّ (ت ٨٥٥هـ) الجزء الخاص بحوادث ٦٤٨ - ٦٦٤هـ، تحقيق: الدكتور محمّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤٠. علاء الدين عطا ملك الجوينيّ حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد: السعيد جمال الدين، الدكتور محمّد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤١. عيون التواريخ: ابن شاكر الكتبيّ، مُحَمّد بن شاكر بن أحمد الدارانيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٤٢. الفاطميون وتقاليدهم في التعليم: هالم، هاينز، تعريب: سيف الدين قصير، دار المدى، دمشق، ١٩٩٩م.

٤٣. فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبيّ، تحقيق: عليّ محمّد بن يعوّض الله وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٤. كتاب البلدان: ابن الفقيه، أحمد بن محمّد بن إسحاق الهمذانيّ (كان حياً ٢٩٠هـ)، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٥. كتاب الحوادث: مجهول، آخر سنة أُرِّخَت فيها الوقائع كانت ٧٠٠هـ، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٦. كشف الظنون: حاجي خليفة، تحقيق شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، إستامبول، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

٤٧. مختصر التاريخ من أول الزَّمَان إلى منتهى دولة بني العباس: ابن الكازَرُونيّ، ظهير الدين عَليّ بن مُحَمّد بن محمود البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ (ت ٦٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م.

٤٨. المراصد الفلكية في العالم الإسلاميّ: صابيلي، الدكتور آيدين، ترجمة: الدكتور عبد الله العمر، مراجعة: الدكتور عبد الحميد صبرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٥م.

٤٩. مسند أحمد: أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ المروزيّ البغداديّ (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

٥٠. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ الرُّوميّ (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.

٥١. معجم التاريخ الإسماعيلي: دفتري فرهاد، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦م.

٥٢. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ابن واصل، محمّد بن سالم بن واصل المازني التميميّ الحمويّ

الشافعيّ (ت ٦٩٧هـ)، ج٦، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٣. المقتفي على كتاب الروضتين: البرزاليّ، علم الدين القاسم بن محمّد بن يوسف الشافعيّ (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٤. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكيّ الحنفيّ (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد محمّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥٥. هدية العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل باشا البابانيّ، ابن محمّد بن أمين البغداديّ (ت١٣٣٩هـ)، إستانبول، ١٩٦٠م.

٥٦. يوحنا ابن العبريّ حياته وشعره: بهنام، المطران غريغوريوس بولس، حلب، ١٩٨٤م.

المطبوعة بالفارسية:

٥٧. تاريخ جَهَانْگشَاي: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك بن محمّد بن محمّد (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: شاهْرُخ موسويَّان، استناداً إلى الطبعة التي حقّقها مُحَمّد بن عبد الوهاب قزويني، نشر دستان، طهران، ٢٠٠٦م. كما استندنا أحياناً إلى طبعته الأصل التي طبعها قزويني في ليدن سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م.

٥٨. تجارب السلف: هندوشاه النَّخْجَوَانيّ، ابن سنجر بن عبد الله الصاحبيّ (كان ما يزال يُدَوِّن كتابه هذا سنة ٧٢٤هـ)، تحقيق: عباس إقبال، كتابخانه طهوري، طهران، ١٩٧٩م.

٥٩. جامع التواريخ (تاريخ أقوام پادشاهان ختاي): رشيد الدين الهَمَذَانيّ، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفَّق الدولة عالي بن أبي شجاع الشَّافِعِيّ (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: محمّد روشن، نشر مؤسسة ميراث مكتوب، طهران، ٢٠٠٦م.

٦٠. جامع التواريخ (تاريخ چين): رشيد الدين الهمذانيّ، تحقيق: الدكتورة وانغ يي دان، مركز نشر دانشگاهي، طهران، ٢٠٠٠م.

٦١. جامع التواريخ (تاريخ المغول): رشيد الدين الهَمَذَانيّ، تحقيق: الدكتور بهمن كريمي، نشر إقبال، طهران، ١٩٨٣م. كما استندنا إلى طبعته التي حقّقها: محمّد روشن ومصطفى موسويّ، مؤسسة نشر ميراث مكتوب، طهران، ٢٠١٦م

٦٢. درّة الأخبار ولمعة الأنوار: ناصر الدين المنشئ الكرمانيّ، ابن عمدة الملك منتجب الدين المنشئ اليزديّ، أهداه إلى الوزير غياث الدين بن رشيد الدين (حكم خلال السنوات ٧٢٥ - ٧٣٦هـ)، شركت سهامي، طهران، ١٩٤٠م.

٦٣. زبدة التواريخ (القسم الخاص بالفاطميّين والنزاريّين): الكاشانيّ، جمال الدين عبد الله بن عليّ بن محمّد (ت ٧٣٦هـ)،تحقيق: محمّد تقي دانش بزوه، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، ١٩٨٩م.

٦٤. مجمع الأنساب: الشبانكارئي، محمّد بن علي بن محمّد (انتهى من تأليف كتابه سنة ٧٣٣هـ)، تحقيق: مير هاشم محدِّث، منشورات أمير كبير، طهران، ١٩٨٤م.

٦٥. مجمل التواريخ: فصيحُ الخوافيّ، أحمد بن مُحَمّد بن يحيى الباهِليّ (ت بعد ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمود فَرُّخ، كتاب فروشي باستان، مشهد، ١٩٦١م.

٦٦. مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار: الآقْسَرَائيّ، كريم الدين محمود بن مُحَمّد (توفي في المدة ما بين ٧٢٣ و٧٣٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عثمان توران، أنقرة، ١٩٤٣م.

٦٧. ميمون دِز أَلَمُوت: مجيدي، عناية الله، موقوفات دكتور أفشار، طهران، ٢٠٠٤م.